الحرب جرح مفتوح، وأنصابها شاهد على ذلك

حسين بن حمزة

ضمن مشروع «ما العمل؟ لبنان وذاكرته حمّالة الحروب»، شاهدنا حلقة أخرى من الجهد المميز الذي تقوم به جمعية «أمم للتوثيق والأبحاث» من خلال معرض فوتوغرافي في «الهنغار» (حارة حريك)، يضم 70 صورة تمثل نصباً وشواهد تذكارية لحروب ومجازر واغتيالات وتفجيرات من التاريخ اللبناني الحديث. الجمعية كلّفت المصور الصحافي وائل حمزة بتصوير المشروع، واستبعدت الأنصاب والشواهد الدينية.

الفكرة المبتكرة لمعرض ««الحرب» في أنصابها وشواهدها» تبدو بسيطة لأول وهلة، وهي توثيق الحرب وبعض مظاهرها ونتائجها وضحاياها بالصور. ولكن كثرة الصور الملتقطة من مناطق مختلفة، والمخلّدة لذكرى أفراد وجماعات وجهات سياسية وحزبية متعددة، وتجاورها في فضاء واحد، فضلاً عن الخلاصات الأليمة التي تنبعث منها، تزوّد المعرض باقتراح، خفي وظاهر، يتمثل في صلاحية أن يكون العنف واحداً من الصور الجامعة والرمزية التي يُختزل بها لبنان. العنف هنا يقف على قدر المساواة مع أي فخر سياحي أو ثقافي أو اجتماعي في البلد. العنف صنع أجيالاً كاملة. أنتج مقترحات ونصوصاً وميولاً ثقافية وأدبية وفنية. وإذا كانت الحرب الأهلية (1975ـ 1990) شطرت الاجتماع اللبناني إلى ما قبل الحرب وما بعدها، فإن هذا التشطير نفسه تعرَّض لضربات إضافية مكّنت الحرب من التمدد والاستمرار، بطرق مختلفة، في سنوات السلم الأهلي، وخصوصاً في السنوات الأربع الأخيرة التي أعقبت اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري.

يكاد المعرض يغطي مساحة لبنان كلها. إنّنا مدعوّون للتجوال بين أسماء المجازر وأسماء الضحايا وأسماء شخصيات عاصرت الحرب. هناك نُصُب تخلّد أفراداً: كمال جنبلاط، بلال فحص، بشير الجميّل، رفيق الحريري، عماد مغنية، سمير قصير، جبران تويني ...، ونُصُب تخلّد ذكرى جماعات: مجزرة الدامور، صبرا وشاتيلا، شهداء الجيش السوري، أبطال حرب تموز، شهداء قانا الأولى والثانية، ضحايا تفجير السفارة الأميركية في بيروت، ضحايا قوات اليونيفيل ...، إضافة إلى نُصُب عمومية: تمثال الشهداء في وسط بيروت، نصب الجندي المجهول.

> شهداء وضحايا وشخصيات... من كل المناطق

من المعرض

شهداء وضحايا وشخصيات من كل المناطق. الصور تخبرنا أن العنف مرّ من هناك، وأنه ليس مخلّداً في نصب الموتى وصورهم فقط، بل هو مخلّد في حياة الأحياء الذي يواصلون حياتهم اليومية المهددة بالعنف نفسه. المعرض، بهذا المعنى، ليس استعادة مريرة لذكرى بعيدة. لعل حيوية فكرة المعرض وأهميته موجودتان في صفتي القِدَم والراهنية اللتين تتراءيان في الصور. الحرب جرح مفتوح، يقول لنا المعرض. ألا يعيش مفقودوها ومخطوفوها في بيوت ذويهم حتى الآن؟.

حتى 29 حزيران (يونيو) ـ «الهنغار» (حارة حريك، بيروت) ـ 01/553604